Biannual Research Journal
AL-IDAH
Published by
SHAYKH ZAYED ISLAMIC CENTRE
UNIVERSITY OF PESHAWAR
PESHAWAR PAKISTAN
ISSN (Print) : 2075-0307
ISSN (Online) : 2664-3375
OPEN ACCESS
الإيضاح
شیخ زاید مرکز اسلامی یونیورسٹی
www.al-idah.szic.pk
JUL- DEC 2020
VOL:38 ISSUE:2

العلامة مولانا أبو الكلام آزاد وجهوده في إصلاح وتطوير منهج الدرس النظامي

Mawlāna Abul Kalām ‘Azād and his Efforts in Reforming and Developing the Curriculum of Dars-i-Nizāmī

Author(s): 1. Aman Ullah

Ph D Scholar, Dept: of Arabic, UoP, KP,
Email: dr.amanullah75@gmail.com

2. Yaqoob Khan Marwat

Professor, Dept: of Arabic, UoP, KP,
Email: yaqoobkhan@uop.edu.pk

Issue: *http://al-idah.szic.pk/index.php/al-idah/index*
URL: *http://al-idah.szic.pk/index.php/al-idah/article/view/646*
Citation: *Amanullah and Yaqoob Khan Marwat 2020. Mawlāna Abul Kalām ‘Azād and his Efforts in Reforming and Developing the Curriculum of Dars-i-Nizāmī. Al-Idah . 38, - 2 (Dec. 2020), 82 - 95*
Publisher: *Shaykh Zayed Islamic Centre, University of Peshawar, Al-Idah – Vol: 38 Issue: 2 / July – Dec 2020/ P.82-95*

Article DOI:
https://doi.org/10.37556/al-idah.038.02.646
Received on: 08-08-2020
Accepted on: 10-09-2020
Published on: 25-12- 2020

Abstract

The prime sources of Islam i.e. Quran and Hadith are in Arabic language hence it is crucial to win command over this language for Islamic studies scholars. The Arab scholars have done extensive work on various aspects of this language. The sub-continent is no exception and a great many books related to Arabic language,grammar, prosody are written. Sheikh Nizam Uddin b.Allama Qutbuddin Sihalwi Ansai, the founder of Dars e Nizami (1161-1748 Hijri) had consciously included Arabic language books for the same purpose. A number of Persian books are also on the curriculum. Various scholars mention the need to revise the Dars e Nizami curriculum to tailor it to contemporary needs and requirements.

This article offers a brief critical review of Allama Abu al Kalam’s proposed amendments in Darsc e Nizami in order to revitalize it and adapt it to modern day requirements.

Keywords:

Dars- I – Nizami corruculum; Maulana Abul Kalam Azad; Reforming and developing.

CC BY

Islamic Research Index
Crossref
DOAJ DIRECTORY OF OPEN ACCESS JOURNALS
INTERNATIONAL Scientific Indexing
INDEX COPERNICUS INTERNATIONAL

دمة:

إن اللغة العربية لغة ذات أهمية ومكانة، والعلم بها أساس للعلم بأصول الدين وشرائع الإسلام وأحكامه. وفهم الكتاب والسنة مرهون بفهم اللغة العربية الفصحى، فلا بد من الاعتناء بها والتركيز على تعلمها وعلومها. ومن ثم اهتم بها علماء الإسلام من العرب والعجم عبر العصور وقاموا بخدمتها فكتبوا وألّفوا في العلوم العربية المتنوعة، ووضعوا الفنون العربية المتفرقة لخدمتها وتطورها وارتقائها والذبّ عنها، كما صرفوا جهودهم المشكورة للعناية بالعلوم الإسلامية.

الدرس النظامي وتاريخه:

المسلمون في شبه القارة الهندية وعلماؤهم أدوا دوراً مهماً وفعالاً في الدفاع عن دين الإسلام والشريعة الإسلامية، وبذلوا جهودهم في هذا المجال، وجاهدوا جهاداً كبيراً بالسيف والسنان والقلم والبنان واللسان والبيان.

وقد نشأ في حجر هذه المنطقة أئمة وعلماء ومفكرون أدوا واجبهم في إصلاح مسلمي هذه المنطقة وإفادة الأمة الإسلامية. إضافة إلى ذلك لهم دور كبير وتاريخ عميق في مجال خدمة اللغة العربية.

بل وشاهدت سماء هذه الأرض الخصبة نجوماً مضيئة، وكواكب نيرة أنارت مشارق الأرض ومغاربها، ورجالاً كانوا فرساناً في ميدان العلم والأدب وكم فيهم من لا يُشق غبارهم ولا تلحق آثارهم، واعترف بفضلهم العرب قبل العجم. وقد اهتم هؤلاء العلماء بالعلوم العربية من النحو والصرف والبلاغة والعروض والقوافي والأدب العربي دراسة وتدريساً وتصنيفاً وتأليفاً.

من هؤلاء العلماء الشيخ نظام الدين بن قطب الدين السهالوي الأنصاري الفرنكي المحلي (من أكبر علماء البارعين في المعقول والمنقول) (١١٦١هـ/١٧٤٨م). مؤسس المنهج الدراسي الشهير للمدارس الدينية في بلاد شبه القارة الهندية. والذي نُسب إليه واكتسب اسم " الدرس النظامي (يعرف هذا المنهج في بلاد شبه القارة الهندية وبلاد الأفغان باسم "درس نظامي") . وقد وضع الشيخ هذا المنهج لمدرسته ثم اختارته المدارس الأخرى بالهند حتى ذاع صيته واشتهر اسمه في بلاد شبه القارة الهندية، وأفغانستان والبلاد المجاورة. وقد استقبلت المدارس الدينية هذا المنهج وتلقته بالقبول، ومازال مقبولاً إلى عصرنا الحاضر ويومنا هذا. بل صار اسم منهج الدرس النظامي لازماً بالمدارس الدينية على كل حال.

الشيخ نظام الدين رحمه الله أقام جذع هذا المنهج على جذور قديمة بعد تعديل لازم وبعض الإضافات الضرورية فقرر في صلب هذا المنهج تدريس كتب مختلفة في شتى العلوم والفنون. وكان

أغلبها مؤلّفة باللغة العربية، ونظراً إلى بيئة الهند وثقافتها، وذوق أهلها الأدبي والعلمي ورعايتهم في ذلك الوقت أدرج في هذا المنهج بعض الكتب المؤلفة باللغة الفارسية أيضاً. وبقي هذا المنهج أساس المناهج في المدارس إلى زمن تسلط الاستعمار الخارجي.

منهج الدرس النظامي ذو جذور عميقة، وخلفية تاريخية، وأساس عتيق. بدأ تعليم العلوم الشرعية وتدريس اللغة العربية في منطقة شبه القارة الهندية بسطح الإسلام عليها، إلا أنّ منهج التعليم في هذه المنطقة مرّ بمراحل مختلفة، وخطوات عديدة، وعُدّلت فيه تعديلات عديدة، وأضيفت إليه إضافات جديدة بمرّ العصور حسب مقتضيات كل عصر، وتحديات كل دهر. ولم نجد في تاريخه الخمود والجمود إلى أن بُنيت عمارة منهج الدرس النظامي على الأصول والقواعد التي وضعت خلال ثمانية قرون، من بداية دخول الإسلام إلى شبه القارة الهندية.

قال الشيخ أبو الحسن علي الندوي: "مرّ منهج الدرس النظامي بمراحل وأدوار عديدة: يبتدأ دوره الأول من القرن السابع الهجري وينتهي في القرن العاشر، حيث كان أكبر اهتمام على دراسة الصرف والنحو والبلاغة والفقه وأصوله، وكذلك المنطق والكلام والتصوف والتفسير والحديث".[١]

أما منهج الدرس النظامي فله علاقة وطيدة بالشيخ عزيز الله والشيخ عبد الله. انتقل الشيخان من ملتان إلى دهلي في أواخر القرن التاسع الهجري، وهما من العلماء الذين كان لهم باع طويل في المعقولات، ورحّب بهم الملك إسكندر اللودي ترحيباً حاراً. وكان لهؤلاء العلماء أثراً بالغاً في عامة أهل دهلي. استقر الشيخ عبد الله في دهلي، وأما الشيخ عزيز الله فاستوطن "سنبهل" [٢]. وقاما بتعديلات عديدة في منهج التعليم بإضافة بعض الكتب الجديدة كـ"المطالع" و"المواقف في المنطق"، و"مفتاح العلوم للسكاكي"، و"المطول" و"مختصر المعاني للتفتازاني"[٣]. وكذلك "التلويح" في أصول الفقه و"شرح عقائد النسفي" في علم العقائد، و"شرح الوقاية" في الفقه، و"شرح ملاّجامي" في النحو[٤].

بعد مرور من الزمن رحل الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي إلى بلاد الحرمين الشريفين وأخذ من علماء الحجاز علم الحديث، وبعد عودته إلى بلاده سعى واجتهد في نشر علم السنة في بلاد الهند، ولكن لم ينل هذا العلم القبول إلا في أيام الشيخ ولي الله الدهلوي[٥] .

وكان السلطان "أكبر" المغولي ملماً بالمعقولات أيما إلمام؛ فتغلب على مجلسه أهل المنطق والفلسفة، واشتهر الأمر في طول البلاد وعرضها. وهذا هو العصر الذي وصلت شهرة وصيت العالم

الفلسفي محمد غياث الدين منصور الشهير بمير صدر الدين الشيرازي (٨٢٨-٩٠٤هـ) من إيران إلى بلاد الهند. و انتقل في هذه الأيام أحد تلامذته من إيران إلى الهند وهو فتح الله الشيرازي.

سرعان ما اشتهر الشيرازي بمهاراته في المنطق والفلسفة بهذه البلاد، حتى حصل مكاناً مرموقاً في مجلس أكبر، وتلقب في البلاط الأكبري بأمين الملك، وعضد الدولة، وعضد الملك [٦]. وأجريت بيده بعض التعديلات في المنهج الدراسي بإضافة كتب المعقولا ككتب المحقق الديواني، ومؤلفات مير صدر الدين، ومؤلفات مير غياث منصور، وكُتبت الحواشي المتعددة على هذه الكتب الدراسية مثل: شرح ملا جلال، وتكملة حاشية الديواني الإيراني وغيرها[٧] فصار لفتح الله الشيرازي تدخل بيّنٌ في توجيه المنهج الدراسي لمسلمي الهند، وهو مؤسس وواضع حقيقي لهذا المنهج [٨] .

كانت دراسة هذه المواد اختيارية وليست إجبارية، ولكن سرعان ما أكب أهل الهند على كتب الفنون العقلية وبدؤوا يكتبون الشروح والحواشي على مؤلفات الفنون العقلية كسلم العلوم وصدرا والشمس البازغة. بل وكان يكتب مولوي واحد على كتاب واحد ثلاثة أو أربعة من الحواشي، وازدهرت الفنون العقلية على مستوى الهند، وصارت لها سيطرة على أذهان وعقول أهلها حتى وصل الأمر إلى أنّهم كانوا يقولون: من لم يتعلم العلوم العقلية لا يعتبر عالماً [٩]. وهكذا نالت هذه الفنون القبول العام على أيدي فتح الله الشيرازي وكذلك على أيدي تلامذته وتلامذة تلامذته في أنحاء الهند المختلفة [10] .

وجدير بالذكر أن المفتي عبد السلام اللاهوري (ت١٠٣٧هـ) كان من أجلّ تلامذة فتح الله الشيرازي، وأخذ عنه محب الله الإله آبادي (ت ١٠٥٨)، وكان الشيخ قطب الدين السهالوي (ت ١١٠٣هـ) تلميذاً لهما بواسطة واحدة. ثم أخذ عنه ولده الشيخ نظام الدين السهالوي (ت ١١٦١هـ) مؤسس منهج الدرس النظامي [١١]. ومن ثم نستطيع أن نقول أن فتح الله الشيرازي هو المؤسس الأول لمنهج الدرس النظامي بالهند [12].

ضرورة التعديل والتطوير في منهج الدرس النظامي:

تمسك علماء شبه القارة الهندية بهذا بمنهج الدرس النظامي وأسسوا مدارس دينية لنشر العلوم الشرعية والفنون العربية. وصار منهج " الدرس النظامي " أساساً لهذه المدارس الدينية بكمه وكيفه إلا أنها تغيرت مقتضيات العصر في هذا الزمن، ولابد من المناهج الدراسية أن تطابق المقتضيات وتواجه التحديات الحديثة بأنواعها. ومن ثم توجه علماء المسلمين في شبه القارة الهندية إلى تطوير منهج الدرس النظامي وتحسينه.

المؤاخذات على منهج الدرس النظامي:

توجه إلى هذا المنهج بعض الملاحظات والمؤاخذات من الجهات والهيئات المختلفة. والحقيقة أن بعض هذه الملاحظات كانت وما زالت أساسية وقوية... فهناك ملاحظات على الدرس النظامي بالعموم وهناك ملاحظات خاصة تتعلق بمواد اللغة العربية أعني مقررات الصرف والنحو والبلاغة والأدب.

أما الملاحظات على منهج الدرس النظامي بالعموم فهي بالإجمال:

١) الجمود
٢) الغلو في التمسك بكتب الفلسفة والمنطق
٣) ضعف الطلاب في اللغة العربية
٤) عشوائية المنهج
٥) عدم الاهتمام باللغات العالمية المعاصرة
٦) قلة العناية بالكتب المعاصرة الحديثة المؤلفة في الفنون العربية والشرعية
٧) عدم اشتمال هذا المنهج على مقررات التاريخ [13].
٨) قلة الاهتمام بالسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين، وتاريخ الإسلام.
٩) عدم الاهتمام بدراسة مقارنة الأديان والمذاهب والفرق والأفكار الفلسفية المعاصرة [14].
١٠) عدم اشتماله على علم الاقتصاد والسياسة والقضايا والمسائل المعاصرة، وعدم تمكن المتخرجين على هذا المنهج من حل القضايا الفقهية الحديثة، إلا ماشاء الله.
١١) قلة معرفة المدرسين أصول التدريس، وندرة استفادتهم من طرق التدريس الجديدة والوسائل التعليمية الحديثة.

١٢) ليس هناك نظام متّبَع لكتابة بحث علمي أو مقالة علمية في مدارس الدرس النظامي.

١٣) عدم الاهتمام اللائق بتدريس أصول التحقيق والتخريج.

١٤) العناية بالكتاب بدلا من العناية على الفن.

المؤاخذات على مواد اللغة العربية:

أما الملاحظات الواردة على كتب المواد العربية من النحو والصرف والأدب والبلاغة فهي ملاحظات مهمة يجب الالتفات إليها، وأسرد بعض هذه الملاحظات والاعتراضات، وهي كالتالي:

١- **لغة المقررات العربية:**

إنّ كثيراً من المقررات النحوية والصرفية في منهج الدرس النظامي باللغة الفارسية مثل: "نحو مير"، "صرف مير"، "ميزان الصرف"، "صرف بهائي"، "علم الصيغة"، "دستور المبتدئ"، "قوانين زرادي"، "فصول أكبري" وغيرها. وبهذا يواجه الطلاب والدارسون صعوبة كبيرة لكون اللغة الفارسية لغة أجنبية لهم؛ لكونها لغة مهجورة ومنسية في هذه البلاد، ومن المبشرات أنّ بعض هذه الكتب قد تم تعريبها.

٢- التأويلات البعيدة الشاذة للقضايا النحوية و إيراد عللها بأسلوب منطقي وفلسفي

٣- عدم الاهتمام بالتمارين والتدريبات

٤- الاختصار والتعقيد

٥- المبالغة في الشروح والحواشي

٦- تأثير المنطق اليوناني

٧- قلة الاهتمام بالفنون الأدبية

٨- عدم الاهتمام بالفنون العربية كالقراءة والكتابة، والتعبير والإنشاء، والإملاء والخط. وهذه الفنون لابد منها لطالب العلوم العربية.

٩- الاختصار والتعقيد في بعض المقررات

١٠- الأمثلة قديمة وتقليدية ومكررة

١١- عدم اشتمال هذه المقررات بالتمارين

١٢- عدم الاستيعاب وعدم التطور في الأدب العربي

١٣- هيئة الكتاب: هيئة الكتب المقررة مهيبة ومخوفة بسبب طباعتها وغير ملائمة للعصر الحاضر، ولأنها مكتظة بالحواشي، والتعليقات والنقاط والنكات ثم التعليقات على التعليقات، ونرى حربا باردة بين الشرّاح والمحشّين على حدود المتن باللغة العربية والفارسية أو غيرها، أكثرها غير مفيدة للطلاب بل ولا يفهما أغلبهم.

١٤- علامات الترقيم: الكتب أغلبها خالية من علامات الترقيم، تتكرر طباعتها بنفس الشكل القديم من غير رعاية أساليب البحوث والكتب العلمية.

ولا يخفى على أحد أن هذه الملاحظات أساسية وقوية ومن ثم اضطر علماء شبه القارة الهندية أن يفكروا في تعديلات أساسية في منهج "الدرس النظامي".

السلبيات الخارجية:

إضافة إلى السلبيات الذاتية الموجودة في كتب الفنون العربية التي يشتمل عليها منهج الدرس النظامي، هناك سلبيات خارجية و عوارض تعرضت إلى هذه المقررات وأثرت فيها تأثيراً سلبيا. ذكر أهل العلم والفكر بعضها في كتبهم وأشاروا إليها في مؤلفاتهم، وهي:

١- التركيز على الكتاب بدلا عن الاهتمام بالفن:

أغلب المعلمين والمتعلمين يركزون على الكتاب بدلاً عن تركيزهم على العلم والفن؛ فمثلاً كافية ابن الحاجب أهم من النحو، وكذلك اهتمامهم بفصول أكبري والشافية أهم من اهتمامهم على علم الصرف، وبدلاً عن البلاغة يهتمون بتلخيص المفتاح ومختصر المعاني وهكذا.

٢- الاقتصار على بعض الكتب دون البعض

٣- عدم مراعاة الترتيب في المواد والمقررات

٤- جهالة الغاية والهدف من دراسة المنهج

٥- مجاوزة الحد في الاهتمام بالشروح والحواشي

الشروح في اللغات المحلية:

من السلبيات التي تدور حول كتب المقررات العربية في منهج الدرس النظامي، هي أن أغلبية المتون قد شرحت باللغات المحلية (الأردوية، والفارسية، والبشتو، والسندية والهندية والبنغالية وغيرها) بدليل تقريب الفنون العربية إلى أذهان الطلاب.

وهذا العمل أثرّ في الطلاب ومستواهم العلمي تأثيراً سلبياً؛ لأنهم بهذا الطريق قد يمكن أن يفهموا القواعد بلغاتهم ولكنهم أصبحوا بعيدين عن اللغة العربية، والأسلوب العربي، والجمال الفني.

ووصلوا إلى أقصى غاية الضعف حتى صار بعضهم يحفظون القواعد بلغتهم، ويكتبون تعريف الفاعل، والمفعول، والحال، والتميز، والمستثنى بلغته الأم.

٦- الغفلة أو التغافل عن الاهتمام بالأدب العربي، والوسائل الأدبية واللغوية [15] .

وقد أحسّ أهل الحل والعقد للمدارس الدينية بهذه الأمور[16], وبدأ كثير منهم في التعديل والإصلاح والتقدم إلى الأفضل والأجمل.

وهذا أمر مستحسن إذ لا بد أن يكون منهجنا الدراسي موافقاً لمقتضيات و متطلبات العصر، ولا بد أن نهتم بالنتائج وأن يكون المتخرجون في المدارس الدينية مؤهلين لمواجهة التحديات المعاصرة في المسائل العلمية والفقهية والسياسية، وأن يتحولوا عن النهج التقليدي لمسايرة العصر ومقتضياته.

ولا يمكن كل هذه الأمور إلا بالتعديل المناسب في مواد المنهج الدراسي بإضافة بعض المواد والمقررات، مثل: العلوم (science)، واللغة الإنجليزية، والعلوم الاجتماعية، ومقارنة الأديان، والآداب، ودراسة القوانين، والجغرافية بأنواعها، وحاضر العالم الإسلامي، والسيرة والتاريخ، بدلاً عن مطولات المنطق والفلسفة التي ليس لها أي دور في العصر الحديث. ويكون منهجنا الدراسي منهجا عمليا وتطبيقيا، منتجا إنتاجاً مفيداً.

وكذلك يجب أن يكون الاهتمام في هذه المدارس بإعداد العلماء والدعاة المثقفين الذين تكون لديهم خلفية لازمة عن المسائل والوسائل الحديثة، وإقامة الحفلات والندوات والاجتماعات والدورات العلمية لهذا الشأن. وينبغي أن يعرف علماء وطلاب المدارس الدينية مكانة وأهمية الإعلام ووسائله وأن يستفيدوا منها في مجال الدعوة والتعليم، وأن يستفيدوا من الصحف العلمية والأدبية المعاصرة، ويكون لطلاب المدارس الدينية نشاط ودور فعال في المجتمع.

إيجابيات المقررات العربية في منهج الدرس النظامي:

هذه الكتب المقررة في منهج الدرس النظامي ليست طامة وبلاء محضة حيث تكون بعيدة عن كل خير، بل هناك جانب من الإيجابيات لهذه المقررات، من أهمها ما يلي:

التعمق والتقعر في الفنون:

يتمكن الطالب بعد دراسة المقررات العربية من التعمق والتقعر. حيث يحاول الوصول إلى أصل وقعر كل فن يدرسه، ولا يمر عليه سطحياً.

العناية بالقواعد النحوية والصرفية والبلاغية:

كتب الصرف والنحو والبلاغة مؤلفة بإيجاز واختصار، وهي تهتم بتقديم القواعد والكليات بشكل جامع، ويسهل على الطالب والمتعلم حفظ هذه القواعد، ولو وُجّه معها إلى استعمال هذه القواعد وتطبيقها فلا يبعد أن يكون من المتميزين في الفنون العربية.

الاهتمام بالتعريفات النحوية والصرفية والبلاغية:

تستوعب هذه الكتب التعريفات بشكل جامع ومختصر، ويتمكن المتعلم من حفظ التعريفات النحوية والبلاغية والعروضية بشكل مرتّب، بحيث تبقى في ذهنه إلى وقت ممتد وأجل طويل، من أجل ذلك كم من الطلاب يهتمون بحفظ بعض المتون والمختصرات في هذه الفنون، مثل كافية ابن الحاجب في النحو وشافيته في الصرف، وتلخيص المفتاح للقزويني في البلاغة العربية.

فكرة الإصلاح والتعديل والتطوير في منهج الدرس النظامي:

المنهج الدراسي هو خطة العمل، له أهمية ومكانة وأثر بالغ في حياة الشعوب ومستقبلهم؛ لأنه نوع من التشريع لتنظيم العملية التعليمية. ولا شك أن منهج "الدرس النظامي" كان مناسباً للعصر الذي وضع فيه، إلا أنه لما تغيرت الأوضاع والأحوال أحس أكثر أهل العلم بضرورة التعديل والإصلاح في هذا المنهج حسب مقتضيات العصر وهم يعترفون بأهمية هذا المنهج الدراسي، لكنهم يرون بعض التعديلات المهمة حسب مقتضيات العصر الحديث وتحدياته. هؤلاء العلماء هم أصحاب العلم والفكر والقلم، وهم سواد أعظم من علماء شبه القارة الهندية. و هم لم يتهاونوا في بذل جهودهم لإصلاح منهج الدرس النظامي قديماً وحديثاً، وعلى رأسهم الإمام شاه ولي الله الدهلوي رحمة الله عليه قائد هذا الرحيل، ثم تبعه كبار علماء دار العلوم ديوبند، وعلماء ندوة العلماء وغيرهم.

من العلماء الذين رفعوا أصواتهم للتعديل في منهج الدرس النظامي حسب مقتضى عصرهم الشيخ أبو الكلام آزاد، والسيد رشيد رضا[17]، والشيخ أشرف علي التهانوي،[18] والشيخ عبد العزيز الميمني[19]، والشيخ إعزاز علي الديوبندي،[20] والمحدث محمد أنور شاه الكشميري،[21] والشيخ سعيد أحمد الأكبر آبادي [22]، والشيخ حسين أحمد المدني[23]، والشيخ شبلي النعماني[24]،

والسيد سليمان الندوي، والشيخ أبو الحسن علي الندوي[25]، والشيخ محمد يوسف البنوري[26] وغيرهم من العلماء رحمهم الله.

يرى هؤلاء العلماء تعديلات أساسية في منهج الدرس النظامي، ولاسيما في المقررات العربية استعداداً وإعدادً لمواجهة تحديات العصر. من أشهرهم وعلى رأسهم مولانا أبو الكلام آزاد رحمه الله.

ترجمة العلامة مولانا أبو الكلام آزاد(ت: ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م) **رحمه الله**

هو الشيخ أبو الكلام، محي الدين أحمد بن خير الدين، لقب بآزاد. وهو الهندي الأب، العربي الأم والثقافة. ولد سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م، في مكة المكرمة. أصله من دهلي، استتم دراسته الأولية بمكة المشرفة، وقصد الأزهر في الرابعة عشرة من عمره، ودرس على علمائها. عاد إلى الهند فسكن في كلكته، وأنشأ فيها مجلة " الهلال " باللغة الأردية (سنة ١٩١٢هـ) وهاجم الاستعمار البريطاني فاعتقله الإنجليز، فألف تفسير القرآن الكريم، أطلق من معتقله فأنشأ مجلة " البلاغ " وكان من أعضاء الحزب المؤتمر الهندي، ثم كان مستشاراً لنهرو، تلميذه بالأردية وزميله في السجن، وتكرر اعتقال البريطانيين له. قال عنه أنور الجندي: أمضى في السجن أحد عشر عاما، ولم يصرفه عن هدفه في مقاومة الإنجليز. صنف في السجن كتابه " التذكرة " . تولى رئاسة حزب المؤتمر بدهلي (١٩٢٣– ٣٩). وفي أيامه استقلت الهند، وانقسمت إلى هند وباكستان، تولى رئاسة البرلمان، ثم وزارة المعارف في دهلي إلى وفاته. كانت له قدرة بالعربية والأردية معاً. وأعظم آثاره: دلائل النبوة، وترجمة القرآن وتفسيره، و كتابه المسمى بخطبات وغيرها.

(ترجمته في الأعلام ١٢٢/١ للزركلي، نزهة الخواطر ٣/ ١١٦٩ للسيد عبد الحي الحسني، وموسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر ٣٤٣/١)

كان العلامة أبو الكلام آزاد رحمه الله من العلماء البارعين في العلم والفكر والسياسة. كان إماما جليلا وحبرا عظيما، معروف لدى أهل الهند علمائهم وعامتهم بعلمه وفراسته وثاقب نظرته. وكلما تقرأ كتبه فتحس أنها كتبت وألفت لعصرنا الحاضر. كان رحمه الله مهتما بالأمة الإسلامية وشؤونها ومسائلها. ومن أهم مسائل الأمة مناهج التعليم ومنها بل من أهمها منهج الدرس النظامي في شبه القارة الهندية. وكان العلامة آزاد رحمه الله في مقدمة العلماء الذين كانوا يرون

الإصلاح والتعديل في منهج الدرس النظامي. وفي التالي نذكر بعض أقواله ونشير إلى بعض جهوده في هذا المجال:

نقده لكتب النحو والصرف المؤلفة باللغة الفارسية:

لقد انتقد العلامة أبو الكلام آزاد كتب النحو والصرف المؤلفة باللغة الفارسية كنحوميز، وصرف ميز، وصرف بهائي، وفصول أكبري، والعثمانية المعروفة بقوانين زرادي، وعلم الصيغة وغيرها من الكتب المؤلفة باللغة الفارسية والتي تدرس في مدارس شبه القارة الهندية فقال: يُكلَّف المتعلم بحمل أثقال ثلاثة: ثقل اللغة الفارسية، وفهم عبارة الكتاب، و حفظ قواعد اللغة العربية [27].

وكذلك أعرب عن رأيه البالغ فقال: الصرف والنحو أساسيات، وبدونهما لا يمكن فهم اللغة العربية، و ما تبحثون عنه هو العلوم الدينية الإسلامية المقفلة في الصندوق، ومفتاح هذا الصندوق هو الصرف والنحو، ولكن لا يصلح تعليم الصرف والنحو بالطريقة المتبعة في المدارس. نُصرف جل الوقت في العمل الذي يمكن إنجازه في وقت قليل، ومع هذا تكون النتيجة ضئيلة. ومن أهم الأمور التي أريد أن أذكرّكم هو أن تعرفوا أن اللغة العربية ليست لغتنا لغة الأم ولا اللغة الفارسية هي لغتنا الأصيلة. وطريقنا القديمة هي أننا كنا نبدأ العلوم الصرفية والنحوية من "الميزان"، "المنشعب"، "صرف مير"، و"نحوومير". نعم كانت هذه الكتب مناسبة للعصر الذي ألفت فيها؛ وذلك لاستفاضة اللغة الفارسية وقت ذاك، أما اليوم فنري اللغة الفارسية صارت لغة أجنبية في الهند، ونعلّم الولد الصغير "ميزان الصرف" و"المنشعب" ونكلّفه في حين واحد بثلاثة أمور: تعلم اللغة الفارسية التي هي لغة أجنبية له، وفهم عبارات الكتب التي لم تكتب بأسلوب سهل ويسير، وفهم القواعد العربية؛ فتتشعب قوته الإدراكية في أمور ثلاثة: تعلم الفارسية، و فهم العبارة، وتعلم القواعد الصرفية والنحوية، ولكن لو نتبع أسلوباً مناسباً ونركّز على أمر واحد وهو تعلم قواعد اللغة العربية فسيفهم قواعد النحو والصرف بسهولة، ومن ثم ينبغي أن يكون الكتب الابتدائية لتعليم الصرف والنحو والمواد الدراسية الأخرى في الأردية (لغة الأم) لكي لا يتحمل الطالب المبتدئ هم أمور ثلاثة [28].

نتيجة دراسة كتب النحو والصرف المقررة في الدرس النظامي عند مولانا آزاد:

ينتقد الشيخ أبو الكلام أزاد منهج الدرس النظامي ولاسيما المقررات العربية حيث قال: يدرس الطلاب أربعة عشر أو خمسة عشر سنة كتب الفنون العربية، ولكنهم لا يقدرون أن يكتبوا عشر أسطر باللغة العربية، ولو حاولوا وكتبوا لن يفهمها العرب [29].

دراسة كتب المنطق والفلسفة ومقتضيات العصر عند مولانا آزاد رحمه الله:

قال عن كتب ومؤلفات المعقولات الفلسفية: القلب يبكي- أين وصلت الدنيا اليوم؟- وما ندرسّه اليوم في مدارسنا باسم المعقولات، هو ما مر به سائر العالم قبل مائتين سنة، وليست له أي مكانة في العالم المعاصر(٣٠).

انتقاده لكتب البلاغة المقررة في مدارس شبه القارة الهندية:

قال عن المطول للتفتازاني: العلامة تفتازاني كان رجلاً عظيماً، وما ألّفه من كتب المتون والشروح صارت مقبولة في حياته؛ لأن العلوم الإسلامية كانت على سبيل الانحدار والانحطاط، وقد سُدّدت سبل التطور والتقدم والترقية، ومثل هذا الكتاب زاد الطين بلة. وفي رأيي – رأي الشيخ أبي الكلام – أن مطوّل التفتازاني قد أصاب الأدب العربي والبلاغة العربية خسارة كبيرة(٣١).

ضرورة التعديل والتغير في منهج الدرس النظامي عند مولانا آزاد:

قال في خطبته التي ألقاها في مؤتمر لكهنو المنعقد بتاريخ ٢٢ فبراير عام ١٩٤٧م: مع الأسف أن الدرس النظامي لا يكفي لحاجاتنا، نحن متخلفون في تعليم العلوم العقلية عن العالم بمسافة مائة وخمسين سنة. ويجب علينا أن نحافظ على تراثنا ورفعته، ولكن لا ينبغي لنا أن نتغافل عن سرعة تقدم العصر. والتيار الرجعي دائماً يكون في الصراع مع تغيرات العصر. ولكن الواقع أن هذا التيار كلما حمل السلاح فكان هناك نوع من المصارعة بينهما ولكن انهزمت الرجعية، وينتصر العصر؛ فلا يمكن لنا أن نحارب العصر. وإن استدل أحد أن أسلافنا قد درسوا نفس المنهج، فأقول: إنه لا شك فيه، لكن ذاك العصر لم يكن عصر ١٩٤٧م، في ذاك الوقت كان التواصل بين التعليم والعصر، ثم تقدم العصر بأكمل سرعته، ونحن كنا جالسين، واليوم من المستحيل لنا أن نشايع العصر، بل حال بيننا وبين العصر جدار رفيع جدا(٣٢). وحان اليوم أن نضع منهجنا الدراسي من جديد، ونعرف جهة العصر ونتقدم إلى الأمام(٣٣) .

يتحدث هذا الحبر العظيم والعالم الجليل في عام ١٩٤٧م، فما يكون رأيه لو كان حياً اليوم؟ في عصر الثورة الصناعية والحاسوب، و عصر الإعلام المنتشر، وعصر العولمة؟

إشرف مولانا آزاد على مجلة الندوة:

أشرف العلامة أبو الكلام آزاد على مجلة الندوة التي قام بنشرها شبلي نعماني رحمه الله.

وذلك لما أسست دار العلوم ندوة العلماء وكان الهدف الأساسي من تأسيسها: الامتزاج بين القديم والجديد. كان العلامة شبلي النعماني مديراً للتعليم في دار العلوم المذكورة، وحاملا لواء الإصلاح في المنهج الدراسي. وقام بتعديلات طيبة في المنهج الدراسي وأسلوب تدريسه وألزم تدريس القرآن والسنة، وقرّر أن يكون الأدب العربي والبلاغة العربية من المواد الأساسية، واتبع الأسلوب الحديث والمعاصر في تدريس العلم والفلسفة، ورغّب العلماء في تعلّم اللغة الإنجليزية. وقام للبلوغ إلى هذا المرام بنشر مجلة باسم "الندوة" تحت إشراف العلامة أبي الكلام آزاد. ولكن سرعان ما قام بعضهم بمخالفته، وذاك في حين كانت "ندوة العلماء" تحت ضغط شديد من قبل حكومة الاستعمار البريطاني، واشتهر المنتسبون إلى "الندوة" بالعصاة والبغاة، وأعداء الحكومة ومثيري المشاكل للحكومة؛ وهكذا أصبحت دار العلوم ندوة العلماء وعلماؤها هدفاً لسهام الأقارب والأجانب.

لجنة مولانا أبي الكلام آزاد:

رتّب العلامة أبو الكلام آزاد في عام ١٩٤٦م لجنة لإعادة النظر في منهج الدرس النظامي. وكان من أعضاء هذه اللجنة مولانا سيد حسين أحمد المدني، ومولانا حفظ الرحمن، و الدكتور عبد العليم، و مولانا سيد سليمان الندوي. رتّبت هذه اللجنة منهجاً دراسياً، ويقال: أن هذه المحاولة كانت من أحسن المحاولات لإصلاح المنهج الدراسي، حيث حاولوا أن يكون المنهج الدراسي موافقاً لمقتضيات العصر[34] .

فجزى الله سلفنا و علماءنا على جهودهم ومساعيهم التي كان أساسها الإخلاص والحب والخير للأمة الإسلامية عامة ومسلمي شبه القارة الهندية خاصة. واليوم يلزم لنا أن نتبع آثارهم وخطواتهم وخطتهم لإصلاح وتعديل مناهج المدارس الدينية، وفي عصرنا الحاضر كم نحن بأمس الحاجة في هذا العصر إلى إعادة تنظيم وترتيب منهجنا الدراسي وإعادة النظر في مقررات منهج الدرس النظامي وإلى بعض الإضافات اللازمة إليها، ولاسيما في المقررات العربية: النحو والصرف والأدب والبلاغة.

هذا ومن الله التوفيق .

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International Licence.

الهوامش:

(1) Abul Hasan Ali Nadawee: AlMuslimoona Fil Hind, P:84
Munazir Ahsan Gilani: Pak wa Hind main Muslamanoon ka Nizam-e- Taleem wa
(2) Tarbiat, p:197
(3) Ibid, p:210
(4) Abul Hasan Ali Nadawee: AlMuslimoona Fil Hind, P:192
(5) Ibid, P:94
(6) Sayyed Abdul Hai: Nuzhatul Khawatir, p1\393
Munazir Ahsan Gilani: Pak wa Hind main Muslamanoon ka Nizam-e- Taleem wa
(7) Tarbiat, p:199
(8) Ibid, p:235
(9) Ibid, p:199
(10) Ibid, p:227
(11) Ibid, p:96
(12) Ibid, p:235
(13) Abu Ammar Zahid AlRashidi: Deeni Madaris ka Nisab wa Nizam, p: 286
(14) Ibid, p: 286
(15) Dr. Muhammad Ameen: Hamara Deeni Nizam-e-taleem, P: 65
(16) Journal wafaqul Madaris (8) Shabab 1425H\ September 2004, p: 11
(17) Sayyed Sulaiman Nadawee: Hamara Nisab Taleem kaisa hoo?, P: 152
(18) Dr. MisbaHullah: Waqiual Madaris Aldinya Alahliyya Fee Pakistan, p:95
(19) Mashahir Ahl-e- ilam kee Muhsin kitabain, p:109
(20) Shaikh: Alfirasa Muqiddimatu Diwanul Hamasa, p: 8
(21) Dr. MisbaHullah: Waqiual Madaris Aldinya Alahliyya Fee Pakistan, p:95
(22) Mashahir Ahl-e- ilam kee Muhsin kitabain, p:109
(23) Dr. Muhammad Ameen: Hamara Deeni Nizam-e-taleem, P: 65
(24)Abul Hasan Ali AlNadawee: Alsuraa Baina Alafikratulislamia walfikratugharbia,67
(25) Ibid ,69
(26) Shaikh Yousf Binawri: Mery ilmi awr Mutalati zindagi, p: 94
(27) Abulkalm Azad: Khutbat Azad, p: 235
(28) Ibid, p: 234
(29) Ibid, p: 237
(30) Ibid, p: 238
(31) Ibid, p: 230
(32) Ibid, p: 240
(33) Dr. Rasheed Ahmad Jalandhri: DarulUloom Dewband, p: 138-139
(34) Dr. Ibid, p: 138